التّأثيرات النّفسيّة والاجتماعيّة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ على الشّباب الجامعيّ في لبنان

TikTok أنموذجًا

عليّ أحمد *

مقدّمة

أحدث ظهور منصّات التّواصل الاجتماعيّ وانتشارها في العصر الرّقميّ الذي يشهد تطوّرًا متسارعًا تغيّرات جوهريّة في الأساليب المعتمدة في توزيع المعلومات واستهلاكها. ومن ضمن هذه المنصّات، اكتسب «تيك توك» (TikTok) مكانةً بارزةً مشكّلًا قوّة ثقافيّة واجتماعيّة مؤثّرة، ولا سيَّما بين فئات الشّباب. يتفرَّد هذا التّطبيق بنظامه الخاصّ لتقديم المحتوى الموجَّه بواسطة الخوارزميّات، وهو يضع تركيزًا كبيرًا على الفيديوهات القصيرة التي تتَّسم بالإثارة، ما جَذَبَ جمهورًا عالميًّا وأسهم في إعادة تشكيل ملامح التّرفيه والتّواصل الاجتماعيّ وتبادل المعلومات.

* أستاذ جامعي - باحث في علوم الإعلام والاتّصال - لبنان.

يُقدّم «جوزيف والثر»[1] (Joseph Walther) تحليلًا شاملًا حول كيفيّة إسهام الاتّصال المعزَّز بواسطة الحاسوب في تطوير علاقات «فائقة الشّخصيّة»، مُلقيًا الضّوء على أنَّ الخصائص المميّزة للإخفاء والانتقاء التي تُتيحها منصّات الإنترنت قد تعمل على تعميق التّفاعلات الشّخصيّة، متجاوزةً بذلك الحدود التي تُفرض في اللّقاءات المباشرة. ويُعدّ هذا البُعد النّظريّ بالغ الأهمّيّة لِفَهم تأثير «تيك توك» في تسهيل ليس فقط الاتّصال، بل كذلك في إقامة روابط اجتماعيّة كثيفة، وغالبًا مثاليّة بين الشّبان اللّبنانيّين.

ويشير «كاس سونستين»[2] (Cass Sunstein) إلى «غرف الصّدى» على أنَّها بيئات تُعزِّز المعتقدات السّابقة للأفراد، مُقلِّلةً مِن فرص تعرُّضهم لآراء ووجهات نظر مختلفة، ما قد يُسهم في ظاهرة الاستقطاب. ويوسّع «إيلي باريسر»[3] (Eli Pariser) هذا الطّرح من خلال مفهوم «فقّاعات التّصفية»، التي تُساهم فيها الآليّات الخوارزميّة في إحاطة الأفراد بشكلٍ أكثر فاعليّة داخل أنظمتهم المعلوماتيّة المعزولة. وتُعدّ هذه الظّواهر ذات أهمّيّة بالغة في سياق منصّات مثل «تيك توك»، التي تُولّد خلاصات محتوى مُخصَّصة تُفضي إلى خَلْقِ بيئات معلوماتيّة معزولة بشكل كبير. كما يُبرز «نيكول إليسون» (Nicole Ellison)، «شارلز ستاينفيلد» (Charles Steinfield)، و«كليف لامب»[4] (Cliff Lampe) الوظيفة الثّنائيّة لمنصّات التّواصل الاجتماعيّ بوصفها أدوات فعّالة؛ لتعزيز رأس المال الاجتماعيّ ونماء المجتمعات الافتراضيّة.

يُمثّل «تيك توك»، بتركيزه على المحتوى الذي يُنشئه المستخدمون، هذه

1- Joseph Walther, Computer-Mediated Communication: Impersonal, Interpersonal and Hyperpersonal Interaction, Communication Research, Sage Publishing, USA, 1996, vol. 23, no. 1, pp. 3 - 43

2- Cass Sunstein, Republic.com 2.0, Princeton University Press, USA, 2009.

3- Eli Pariser, The Filter Bubble: What the Internet is hiding from you, Penguin UK, 2011.

4- Nicole Ellison, Charles Steinfield & Cliff Lampe, The benefits of Facebook friends: Social capital and college students' use of online social network sites, Journal of Computer-Mediated Communication, 2007, vol. 12, no. 4, pp. 1143 - 1168.

الوظيفة بشكلٍ ملموس، وهذا ما يَظهر في محتوى المنصّة؛ إذ تشير الإحصاءات التي تَرِد عن المحتوى الأكثر رواجًا في لبنان (TikTok trends Lebanon)، والذي يُقدِّمه صُنّاع المحتوى اللّبنانيّون، وهم بمعظمهم مِن جيل الشّباب، أنَّه يشمل القضايا الآتية:

- المحتوى التّرفيهيّ وتجارب الطّعام والطّبخ: يأتي في المرتبة الأولى مِن حيث الشّعبيّة؛ إذ يُشارك الشّباب محتوًى يحتوي الكوميديا والموسيقى والرّقص، بالإضافة إلى محتوى الطّبخ الذي يتضمَّن وصفات الطّعام وتجارب الطّهي، والتي يقدّمها من يُعرفون بـ(food bloggers) الذين أصبحوا ظاهرة تَعتمد عليها الكثير مِنَ المطاعم للتّرويج.
- البثّ المباشَر، التّعارف، والتّحدِّيات: تأتي في المرتبة الثّانية؛ إذ يحظى البثّ المباشَر بشعبيّة واسعة، بالإضافة إلى مقاطع الفيديو التي تُركِّز على التحدِّيات والتّعارف بين مشاهير «تيك توك» والمستخدمين.
- القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة: تأتي في المرتبة الأخيرة بنسب متدنِّيَة؛ إذ يُشكِّل صانعو المحتوى المُتَّزِن والمُركِّز على هذه القضايا أقلِّيَّة، وغالبًا ما يكون تأثيرهم أقلّ مقارنةً بمُقدّمي المحتوى التّرفيهيّ.

ومع ذلك، فإنَّ البحث عن التّوازن بين تفاعلات اجتماعيّة إيجابيّة وخطر العزلة أو الإقصاء ضمن غرف الصّدى الرّقميّة يُعدُّ مجالًا بالغ الأهمِّيّة للدّراسة والتّحليل. وفي هذا المجال، يُسلّط «جون سولر»[1] (John Suler) الضّوء على «تأثير فقدان الرّادع عبر الإنترنت» بوصفه ظاهرة تؤدِّي فيها إمكانيّة التخفّي، التي يُوفّرها الإنترنت إلى دفعِ الأفراد نحو التّعبير بصورة أكثر جرأة، وأحيانًا مُثيرة للمشكلات حول هُويّاتهم.

ومن الأمثلة على هذه المشكلات التي تحدَّث عنها «مونيكا أندرسون» (Monica Anderson) و«جينغ جنيغ جيانغ» (Jingjing Jiang) في دراستهما[2]:

1- John Suler, The online disinhibition effect. Cyberpsychology & behavior, 2004, vol. 7, no. 3, pp. 321 - 326.

2- Monica Anderson, & Jingjing Jiang, Teens, Social Media, and Technology 2018, Pew Research Center, 2018. This report provides insight into how platforms like TikTok are used by teens and could offer a contemporary look at social media trends.

- التّنمُّر الإلكترونيّ: يمكن أن يَدفع فقدان الرّادع عبر الإنترنت بعض الأفراد إلى الانخراط في التّنمُّرِ الإلكترونيّ؛ ما يؤدِّي إلى آثار نفسيّة سلبيّة على الضّحايا.
- التّحريض على الكراهيّة: قد تؤدِّي الجرأة الزّائدة إلى خطاب الكراهيّة والتّحريض؛ إذ ينشر البعض آراءهم المتطرِّفَة حول موضوعات مثل السّياسة والدّين.
- الانتحال الشّخصيّ أو الثّقافيّ: قد تجعل إمكانيّة الإخفاء الأفراد يختلقون شخصيّات مُزيَّفة أو ينتحلون ثقافات ليست لهم بهدف إثارة الجدل أو جذب الانتباه.
- السّلوك غير الأخلاقي: قد يشعر البعض بحرِّيّة في التّصرُّف بطرق غير أخلاقيّة؛ مثل نشر شائعات كاذبة أو خداع الآخرين.

يكتسب هذا التّأثير أهمِّيّة بالغة في سياق استخدام «تيك توك»؛ إذ يمكن أن تُعمِّق الخصائص الأدائيّة للمنصّة الجوانب الإيجابيّة والسّلبيّة للتّعبير عن الذّات لدى طلّاب الجامعات في لبنان. على سبيل المثال، تُشير حادثة في لبنان إلى استغلال بعض المشاهير على «تيك توك» لشهرتهم لجذب الأطفال واستدراجهم إلى أعمال غير أخلاقيّة، بما في ذلك التّحرُّش والاعتداء الجنسيّ. وتوضح هذه الحادثة خطر استغلال النّفوذ الرّقميّ على المنصّة للإيقاع بالضّحايا، وخصوصًا الأطفال. فإلى جانب مخاطر مثل التّنمُّر والتّحرُّش، تُظهر هذه الحادثة أهمِّيّة زيادة الوعي حول التّفاعل عبر الإنترنت، وخصوصًا لحماية الفئات الضّعيفة.

تُقدِّم بعض الدّراسات الحديثة، ومنها دراسة «مونيكا أندرسون» و«جينغ جنيغ جيانغ»[1]، إضاءة على استخدام منصّات التّواصل الاجتماعيّ مثل «تيك توك» بين الشّبان، مؤكِّدةً على تغيير جوهريّ في طرق تفاعلهم مع المحتوى الرّقميّ والمجتمعات عبر الإنترنت. وبالمثل، تتطرَّق «صوفي بيشوب»[2] (Sophie

1- Monica Anderson & Jingjing Jiang, Teens, Social Media, and Technology 2018.

2- Sophie Bishop, Managing visibility on YouTube through algorithmic gossip. New Media & Society, 2019, vol. 21, no. 11 - 12, pp. 2589 - 2606. While focused on YouTube, Bishop's discussion on algorithmic visibility can apply to understanding TikTok's content delivery mechanisms.

Bishop) إلى تأثير الخوارزميّات على كيفيّة ظهور المحتوى وتفاعل المستخدمين على منصّات شبيهة بـ«تيك توك». وتُعدّ هذه الرّؤى الحديثة حول اتّجاهات استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ وتأثير الخوارزميّات ضروريّة؛ لتحليل المشهد الرّقميّ المتميِّز الذي ينخرط فيه طلّاب الجامعات في لبنان.

كما تُظهر دراسة أجراها «كوراي بَش» (Corey Basch) و«غريس هيلير» (Grace Hillyer) و«كريستي جيمي»[1] (Christie Jaime)، أنَّ «تيك توك» يحمل إمكانات واسعة لنشر رسائل صحِّيّة عامّة ذات أهمِّيّة، وهذا ما برز بشكلٍ واضح في فترة انتشار جائحة كوفيد-19 (COVID-19)، مؤكّدين قدرته على التّأثير بشكلٍ ملحوظ في الخطاب العامّ والتّصوّرات الجماهيريّة. تُبرِز هذه الدّراسة الدّور المتنوِّع لـ«تيك توك»، لا بكونه وسيلة للتّعبير الذّاتيّ والتّواصل الاجتماعيّ فحسب، بل من كونه أداة فعّالة أيضًا لتوصيل المعلومات وتعزيز المشاركة المجتمعيّة.

تهدف هذه الدّراسة إلى تحليل التّأثيرات النّفسيّة والاجتماعيّة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ في الشّباب الجامعيّ في لبنان؛ لاستكشاف الأساليب المعقَّدة التي تؤثِّر بها المنصّات الرّقميّة على الهُويّات الفرديّة والجماعيّة وتشكّل التّفاعلات الاجتماعيّة. ويُركِّز البحث على دور تيك توك في نحتِ ثقافة الشّباب المعاصرة والدّيناميكيّات الاجتماعيّة، من خلال فَهم أعمق لكيفيّة تأثير المنصّة على الهُويّات في السّياق الرّقميّ. بالإضافة إلى ذلك، تبحث الدّراسة في التّقاطع بين التّكنولوجيّا وعلم النّفس والمجتمع من خلال تحليل دور الخصائص الأدائيّة لمنصّة تيك توك في التّأثير في السّلوك الاجتماعيّ للشّباب. في السّياق اللّبنانيّ، أبرزت النّتائج أنَّ هذه المنصّة يمكن أن تُعزِّز الهُويّة الجماعيّة للشّباب، من خلال إنشاء مجتمعات افتراضيّة مشتركة، ويمكنها أيضًا تعميق التّناقضات بين الهُويّة الرّقميّة والواقعيّة.

1- Corey Basch, Grace Hillyer & Christie Jaime, COVID-19 on TikTok: Harnessing an emerging social media platform to convey important public health messages, International Journal of Adolescent Medicine and Health, 2020, vol. 34, no. 5, pp. 367 - 369. This article, while centered on COVID-19 messaging, highlights TikTok's potential for disseminating information and influencing public health perceptions, relevant to discussions on echo chambers and information bubbles.

الإطار النّظريّ

1. الاتّصال والهُويّة في العصر الرّقميّ:

أحدث ظهور الإنترنت ثورة جذريّة في أساليب التّواصل بين الأفراد، مؤثّرًا بشكل لافت على تشكيل الهُويّة الشّخصيّة وتعبيراتها. يَطرح في هذا المجال «جوزيف والثر»[1] مفهوم الاتّصال فائق الشّخصيّة، مُعلنًا عبره أنَّ التّفاعلات التي تَحدُث عبر الإنترنت قادرة على خَلْقِ علاقات تتَّسم بالحميميّة والمثاليّة بمستويات تفوق تلك التي تُبنَى في الواقع الفعليّ؛ وذلك نتيجةً لإمكانيّات العرض الذّاتيّ الانتقائيّ والتّواصل غير المتزامن. وتقوم هذه النّظريّة على فرضيّة أنَّ الخصائص المميَّزة للإنترنت تسمح بتعزيز جودة العلاقات إلى مستويات قد تتجاوز ما هو مُتوقَّع في اللّقاءات الشّخصيّة؛ وذلك بفضل القدرة الكبيرة التي يَحظى بها الأفراد في التّحكّم بصورتهم على الإنترنت[2]. ويُعمّق استكشاف «جون سولر»[3] لـ«تأثير فقدان الرّادع عبر الإنترنت» الفهم السّابق بالتّوجيه إلى أنَّ الإخفاء والتّخفِّي الذي تُتيحه البيئات الإلكترونيّة يُحفِّز الأفراد على التّعبير عن ذاتهم بمزيد من الانفتاح والصّدق مقارنةً بما قد يُظهرونه في اللّقاءات الشّخصيّة. تمتلك هذه الظّاهرة تأثيرًا مزدوجًا على تكوين الهُويّة الشّخصيّة، فهي تخلق مساحات للتّعبير الذّاتيّ الأصيل وتوفِّر الفرصة لاستكشاف الذّات، بينما تُسهم في الوقت نفسه في خَلْقِ بيئات قد يُفضي فيها السّلوك غير المحدود إلى عواقبٍ سلبيّة[4].

2. غرف الصّدى وفقّاعات المعلومات:

أفضى التّطوُّر التّكنولوجيّ في العصر الرّقميّ إلى ظهور غرف الصّدى وفقّاعات المعلومات؛ إذ تؤدِّي الإدارة الخوارزميّة وشبكات المستخدمين المختارَة بدقَّة إلى عَزْلِ الأفراد عن وجهات نظر مختلفة. يُقدّم «كاس سونستين»[5] تحليلًا نقديًّا لكيفيّة تَسبُّب هذه البيئات المعزولة في الاستقطاب، مؤدِّيًا إلى ترسيخ الأفراد في

1- Joseph Walther, Computer-Mediated Communication: Impersonal, Interpersonal and Hyperpersonal Interaction.

2- Ibid.

3- John Suler, The online disinhibition effect.

4- Ibid, p. 321.

5- Cass Sunstein, Republic.com 2.0.

معتقداتهم من دون التّعرّض لآراء مغايرةٍ. على نحو مماثل، يُنبِّه «إيلي باريسر»[1] إلى مخاطر «فقّاعات التّصفية» التي تتشكّل من خلال خوارزميّات البحث المُصمَّمة لتصفية المعلومات واختيارها بناءً على السّلوكات السّابقة للمستخدِم، مُعزّزةً التّحيُّزات الموجودة ومُقلّلةً مِنَ التّنوّع في الآراء[2].

3. تأثير وسائل التّواصل الاجتماعيّ على الهُويّة الشّخصيّة والسّلوك الاجتماعيّ:

تحوَّلت منصّات وسائل التّواصل الاجتماعيّ إلى أرضيات رئيسة لاستكشاف الهُويّة، والتّعبير عنها، والتّحقّق من صحّتها. وتشير أبحاث «تشانغ تشاو» (Shanyang Zhao)، «شيري غراسموك» (Sherri Grasmuck) و«جايسون مارتن» (Jason Martin)[3] إلى أنَّ الأفراد يميلون إلى تصميم هُويّاتهم الافتراضيّة وتنسيقها على منصّات مثل «فيسبوك» (Facebook) بطريقة تتوافَق مع الصّور الذّهنيّة المرغوبة لأنفسهم، مُتجاذبين بين الرّغبة في الظّهور بصورة أصيلة، والحاجة إلى كسب الجاذبيّة الاجتماعيّة من خلال ما يُعرَض على الإنترنت. تُظهر هذه العمليّة التّفاوضيّة التّأثيرات الشّاملة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ على بناءِ الهُويّة الشّخصيّة، ما يؤدّي إلى تداخل الخطوط بين الذّات الخاصّة والعامّة وجعلها أكثر غموضًا[4].

يلقي «نيكول إليسون» و«شارلز ستاينفيلد» و«كليف لامب»[5] الضّوء على مفهوم «رأس المال الاجتماعيّ» في سياق وسائل التّواصل الاجتماعيّ، مؤكّدين على دوره في تعزيز الاتّصال والمشاركة المجتمعيّة بين طلّاب الكلّيّات. تشير أعمالهم إلى أنَّ استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ يمكن أن يحمل فوائد كبيرة للحياة

1- Eli Pariser, The Filter Bubble: What the Internet is hiding from you.

2- Ibid., p. 9.

3- Shanyang Zhao, Sherri Grasmuck & Jason Martin, Identity construction on Facebook: Digital empowerment in anchored relationships, Computers in Human Behavior, 2008, vol. 24, no. 5, pp. 1816 - 1836.

4- Ibid., p. 1816.

5- Nicole Ellison, Charles Steinfield & Cliff Lampe, The benefits of Facebook friends: Social capital and college students' use of online social network sites.

الاجتماعيّة للمستخدِمين ومشاركتهم المجتمعيّة؛ ما يُسهّل الاتّصالات التي قد لا تَحدُث بخلاف ذلك[1].

على الرّغم من الفوائد الكثيرة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ، لا تزال توجد مخاطر مرتبطة باستخدامها بكثافة. ويُشير «باتي فالكنبرغ» (Patti Valkenburg)، «جوشن بيتر» (Jochen Peter) و«ألكسندر شاوتن» (Alexander Schouten)[2] إلى الآثار السّلبيّة المحتملة مثل الارتباك في الهُويّة والعزلة الاجتماعيّة، وهي تَظهر بشكل خاصّ بين المراهقين الذين ينغمسون بعمق في استخدام مواقع التّواصل الاجتماعيّ.

4. دور تيك توك في ديناميكيّات وسائل التّواصل الاجتماعيّ الحديثة:

تتّخذ منصّات مثل تيك توك دورًا متزايد الأهمِّيّة في تحديد ثقافة الشّباب اليوم. وتُظهر الأبحاث التي أجراها «مونيكا أندرسون» و«جينغ جنيغ جيانغ»[3] أنَّ تيك توك اكتسب شعبيّة كبيرة بين المراهقين؛ ما يُمثِّل تحوّلًا مهمًّا في كيفيّة تفاعل الشّباب مع المحتوى الرّقميّ ومع بعضهم البعض. وبفضل تركيزه على المحتوى الخوارزميّ المتمثّل في فيديوهات قصيرة وجذّابة، يُسلِّط تيك توك الضّوء على التحدِّيات والفرص الجديدة التي ترافق ظاهرة غرف الصّدى، مؤثّرًا بشكلٍ مميَّز على السّلوك الاجتماعيّ للمستخدِمين وطريقة تشكيلهم لهُويّاتهم.

تتطرَّق «صوفي بيشوب»[4] إلى مفهوم «النّميمة الخوارزميّة» في إطار منصّة «يوتيوب» (YouTube)، ولكنَّ يمكن تطبيق هذا المفهوم بشكلٍ واسع لفهم كيفيّة ظهور المحتوى وتفاعل المستخدِمين عبر مختلف المنصّات، بما في ذلك تيك توك. تؤدِّي الإدارة الخوارزميّة دورًا محوريًّا في نحت تجارب المستخدِمين؛ إذ تمتلك القدرة على تعزيز ظواهر غرف الصّدى وفقّاعات التّصفية، ما يؤثِّر بشكلٍ

1- Nicole Ellison, Charles Steinfield & Cliff Lampe, The benefits of Facebook friends: Social capital and college students' use of online social network sites, p. 1143.

2- Patti Valkenburg, Jochen Peter & Alexander Schouten, Friend networking sites and their relationship to adolescents' well-being and social self-esteem, CyberPsychology & Behavior, 2006, vol. 9, no. 5, pp. 584 - 590.

3- Monica Anderson & Jingjing Jiang, Teens, Social Media, and Technology, 2018.

4- Sophie Bishop, Managing visibility on YouTube through algorithmic gossip.

كبير على البيئة الإعلاميّة والتّفاعلات الاجتماعيّة عبر الإنترنت.

ويستعرض بحث أجراه «كوراي بَش» و«غريس هيلير» و«كريستي جيمي»[1] إمكانات تيك توك في توزيع رسائل صحّيَّة عامّة ذات أهمِّيّة، مسلِّطين الضّوء على قدرة المنصّة على التّأثير في السّلوكات والتّصوّرات العامّة. ويُظهر هذا العمل الوظيفة المزدوجة لـ«تيك توك»، ليس فقط بكونه منبرًا للتّرفيه، ولكن أيضًا بكونه أداة فعّالة لتبادل المعلومات وتعزيز المشاركة المجتمعيّة، ما يُعدّ ذا أهمِّيّة في النّقاشات المتعلِّقة بالآثار النّفسيّة والاجتماعيّة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ[2].

منهجيّة البحث

يتبع هذا البحث منهجيّة التّحليل الكمِّي والنّوعيّ لتحليل الآثار النّفسيّة والاجتماعيّة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ، مع تركيز خاصّ على تيك توك بين شباب الجامعات في لبنان. وقد اختيرت هذه المناهج للاستفادة من المميّزات التي تُقدّمها كلّ مِن الدّراسات الكمِّيّة والنّوعيّة. فالبيانات الكمِّيّة تُقدِّم رؤية شاملة حول أنماط الاستخدام، والتّعرُّض للآراء المختلفة، والأثر العامّ لوسائل التّواصل الاجتماعيّ على الهُويّة الشّخصيّة والسّلوكيّات الاجتماعيّة. في المقابل، تُوفِّر البيانات النّوعيّة فَهمًا أعمق للتّجارب والإدراكات المعقَّدة للأفراد، مقدّمةً بُعدًا غنيًّا ومُفصَّلًا للموضوع لا يُمكن الحصول عليه من خلال الأرقام فقط.

أدوات البحث وجمع البيانات

1. البيانات الكمّيّة:

لجمع البيانات في هذه الدّراسة، استُخدمت أدوات كمِّيّة تشمل استبيانات مُنظَّمة تهدف إلى التقاط بيانات حول تواتر وسائل التّواصل الاجتماعيّ ومدّة استخدامها، والمنصّات المفضّلة، وتجارب المشارِكين المتعلّقة بغرف الصّدى والتّأثيرات

1- Corey Basch, Grace Hillyer & Christie Jaime, COVID-19 on TikTok: Harnessing an emerging social media platform to convey important public health messages, International Journal of Adolescent Medicine and Health, 2020, vol. 34, no. 5, pp. 367 - 369.

2- Ibid.

النّاتجة عن استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ على هُويّتهم الشّخصيّة وسلوكهم الاجتماعيّ. وقد ضمَّ الاستبيان أيضًا عناصر تقييميّة على مقياس «ليكرت»[1] (Likert Scale)، بالإضافة إلى أسئلة اختيار من إجابات متعدّدة، وأقسام مخصّصة لجمع المعلومات الدّيموغرافيّة للمشاركين.

2. الأدوات النّوعيّة:

لجمع البيانات النّوعيّة في هذا البحث، أُجريت مقابلات عميقة، نصف مُنظّمة، تهدف إلى استخراج رؤى حول التّجارب الشّخصيّة للطّلّاب مع وسائل التّواصل الاجتماعيّ. هذه المقابلات استكشفت مواضيع مهمّة عدَّة، بما في ذلك تأثير وسائل التّواصل على الهُويّة الشّخصيّة والتّعبير عن الذّات، ودور هذه المنصّات في تكوين العلاقات الاجتماعيّة وصيانتها، بالإضافة إلى تصوّرات المشارِكين حول ظاهرة غرف الصّدى. هذه المقابلات ساعدت في توفير فَهم أعمق وأكثر تفصيلًا للتّأثيرات النّفسيّة والاجتماعيّة لاستخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ في الشّباب.

اختيار العيّنة

تكوَّنت عيِّنة هذا البحث من 300 طالب جامعيّ ينتمون إلى مؤسّسات تعليميّة متنوّعة في لبنان، وتحديدًا من الجامعة اللّبنانيّة، جامعة العلوم والآداب اللّبنانيّة، جامعة المعارف، جامعة الجنان، والجامعة الأنطونيّة. وركّزت الدّراسة على طلّاب السّنتين الأولى والثّانية من تخصُّصات الإعلام؛ نظرًا إلى موقعهم الخاصّ بكونهم جيلًا رقميًّا تأثَّر بشكلٍ كبير بالتّعليم المنزليّ خلال فترة جائحة (COVID-19)، ما جعلهم أكثر تعرّضًا للإعلام الرّقميّ واستخدام الهواتف الذّكيّة. العيِّنة مُقسَّمة إلى 131 طالبًا من الجامعة اللّبنانيّة، 57 من جامعة العلوم والآداب اللّبنانيّة، 42 من جامعة المعارف، 38 من جامعة جنان، و32 من جامعة الأنطونيّة، بتوزيع بين الجنسَين يضمّ 63% إناث و37% ذكور.

1- مقياس ليكرت هو أداة شائعة تُستخدم في البحث الاستقصائيّ لقياس الآراء أو الاتّجاهات. طوّره عالم النّفس رينسيس ليكرت (Rensis Likert) في عام 1932م. هذا المقياس يقدّم عبارات يُطلب فيها من المستجيبين أن يعبّروا عن موافقتهم أو عدم موافقتهم عليها عبر مجموعة من الخيارات الثّابتة التي تُمثّل درجة متفاوتة من الشّعور تجاه العبارة المُقدّمة.

ولجمع البيانات في هذه الدّراسة، استُخدِمت استبيانات عبر الإنترنت، وُزِّعت على الطّلّاب عبر البريد الإلكترونيّ ومنصّات التّواصل الاجتماعيّ، ما ساهم في تحقيق تغطية واسعة للفئة الدّيموغرافيّة المستهدَفة. كما أُجريت المقابلات في بيئة افتراضيّة باستخدام منصّات الفيديو (ZOOM) لفئة من الطّلّاب، والاتّصال الهاتفيّ لعدد آخر فضَّلوا الاتّصال الهاتفيّ، كما طلب عدد من الطّلّاب الإجابة عن الأسئلة بشكلٍ مكتوب، فأُرسلت أسئلة المقابلة لهم مكتوبة عبر البريد الإلكترونيّ، وأجابوا عنها بشكل مفصَّل.

تحليل البيانات

1. الكمّيّة:

طُبِّق تحليل إحصائيّ شامل على البيانات المجمّعة مِنَ الاستبيانات للكشف عن أنماط الاستخدام المتعلّقة بوسائل التّواصل الاجتماعيّ، ومستوى التّعرُّض لآراء مختلفة، والتّأثيرات المترتّبة على الهُويّة الشّخصيّة والسّلوكات الاجتماعيّة للمستخدِمين. استُخدِمت الإحصاءات الوصفيّة لتوفير صورة عامّة ومفصَّلة حول توزيع البيانات، في حين أُجريت الإحصاءات الاستدلاليّة لاستكشاف العلاقات بين المتغيّرات المختلفة وتحليلها وفَهم الأسباب والتّأثيرات المحتملة ضمن السّياق البحثيّ.

2. النّوعيّة:

لتحليل البيانات النّوعيّة التي جمعناها مِنَ المقابلات، استخدمنا أسلوب التّحليل الثّيماتيّ (Thematic Analysis)، وهو أسلوب منهجيّ في تحليل البيانات النّوعيّة يهدف إلى تحديد الأنماط (Themes) داخل البيانات. هذا الأسلوب يتضمَّن ترميز البيانات بعناية، وتحديد الأنماط المتكرّرة، وجمع النّتائج لإبراز المواضيع الرّئيسة التي تتَّصل بأسئلة البحث. من خلال هذا النّهج، تمكنَّا مِن تقديم تفسير مفصَّل لكيفيّة تأثير وسائل التّواصل الاجتماعيّ على تكوين الهُويّة الشّخصيّة والسّلوكات الاجتماعيّة للشّباب. هذا ساعدنا في فَهم كيفيّة تفاعل الشّباب مع هذه المنصّات واستجابتهم لها في حياتهم اليوميّة.

القسم العمليّ: تحليل لاستخدام طلاب الجامعات اللّبنانيّة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ

1. معدَّل استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ يوميًّا لدى الشّريحة المستهدَفة:

أربع ساعات يوميًّا.

2. المنصّات الأكثر استخدامًا:

تيك توك: 45%	إنستغرام: 40%	فيسبوك: 10%	تويتر: 3%	أخرى: 2%

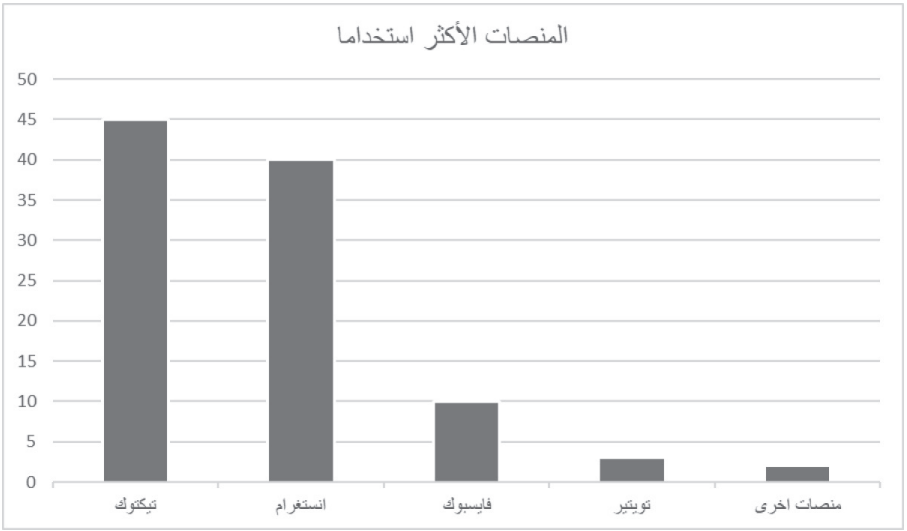

3. التّعرّض لوجهات نظر متنوّعة:

نادرًا	65%	أحيانًا	20%	غالبًا	15%

4. تأثير وسائل التّواصل الاجتماعيّ على الهُويّة الشّخصيّة:

أشعر أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تسمح بتعبير أكبر عن الذّات	70%
تعديل الشّخصيّة الإلكترونيّة لتتناسب مع التّوقّعات الاجتماعيّة	50%
التّعبير الذّاتيّ الإبداعيّ الخاصّ بتيك توك	65%
الضّغط للتّوافق مع ترندات تيك توك:	40%
تجربة تغيير في وجهة النّظر بسبب التّفاعلات عبر الإنترنت	30%

5. امتلاك حسابات وهميّة على أيّ منصّة من منصّات التّواصل الاجتماعيّ:

نعم	39%	كان لديّ حساب سابقًا والآن لا يوجد لديّ حساب	20%
كلّا	25%	لا جواب	14%

6. الذين أجابوا (نعم) (حاليًّا) أو كانت لديهم حسابات سابقة ما أهدافهم من هذه الحسابات:

الحفاظ على الخصوصيّة:	35%	التّعبير عن الهُويّة الحقيقيّة:	40%
الهروب من القيود المجتمعيّة:	15%	المشاركة في النّقاشات الحسّاسة:	10%

7. دور وسائل التّواصل الاجتماعيّ في تكوين وصيانة العلاقات:

ساعدت في الحفاظ على العلاقات القائمة:	80%
أدَّت إلى تكوين علاقات جديدة ذات معنى:	40%
تجربة العلاقات المتوتّرة بسبب الخلافات على الإنترنت:	25%

8. الإدراكات والمشاركة في غرف الصّدى:

الوعي بكوني في غرفة صدى:	5%	مستخدمو تيك توك الواعون بغرف الصّدى:	3%

9. كيف تنظر إلى تأثير غرف الصّدى:

(وُضِعَ تعريف واضح لماهيّة غرف الصّدى وكيفيّة عملها قبل طرح السّؤال).

الاعتقاد بأنَّ غرف الصّدى لها تأثير إيجابيّ:	15%	الاعتقاد بأنَّ غرف الصّدى لها تأثير سلبيّ:	35%

10. تأثيرات وسائل التّواصل الاجتماعيّ على الانخراط الاجتماعيّ والسّياسيّ:

زيادة الاستعداد للمشاركة في الأنشطة السّياسيّة:	30%
الشّعور بالاطّلاع أكثر على القضايا الاجتماعيّة/السّياسيّة:	45%
الشّعور بالإرهاق بسبب المحتوى الاجتماعيّ/السّياسيّ:	25%
المشاركة في القضايا السّياسيّة/الاجتماعيّة المستوحاة من تيك توك:	35%

الخلاصات والنّتائج الكمّيّة

1. في الفروقات بين النّتائج تبعًا لطلّاب الجامعات:

أظهر التّحليل أنَّ استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ بين طلّاب الجامعات اللّبنانيّة كان متشابهًا، مع عدم وجود فروق إحصائيّة كبيرة بين الطّلّاب من مختلف الجامعات المدروسة. ويدلّ هذا التّقارب على أنَّ تأثير الثّقافة الرّقميّة باتَ شاملًا بين الأوساط الأكاديميّة في لبنان، ما يعكس تساوي الفرص في الوصول إلى التّقنيّات الرّقميّة والتّأثُّر بها. ويمكن أن تُعزى هذه الظّاهرة إلى عوامل عدَّة:

أ. العصر الرّقميّ المتكامل: يُمثِّل الطّلّاب الجامعيّون جزءًا مِن جيل نشأ في عصر الثّورة الرّقميّة، فهم يتعرَّضون جميعًا للمؤثّرات الإعلاميّة الرّقميّة نفسها، ما يجعل سلوكاتهم وتفضيلاتهم في استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ متشابهة.

ب. تشابه التّأثير المجتمعيّ: رُبَّما تشكَّلت العادات الرّقميّة للطّلّاب وفاقًا لتأثيرات المجتمع الرّقميّ الأكبر، بغضِّ النّظر عن الجامعة التي ينتمون إليها؛ إذ إنَّ القضايا الثّقافيّة والمجتمعيّة والاقتصاديّة تُشكِّل طبيعة التّفاعل الرّقميّ وتؤثِّر في الطّلّاب بشكلٍ موحَّد.

ج. التّوجُّهات العالميّة: تؤثِّر الاتّجاهات العالميّة الشّائعة لاستخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ في الطّلّاب في الجامعات المختلفة بالقدر نفسه. فتطبيقات، مثل تيك توك وإنستغرام، أصبحت جزءًا لا يتجزّأ من حياة الطّلّاب، بغضّ النّظر عن الجامعة التي يدرسون فيها.

د. البُنية التّحتيّة التّقنيّة: تُوفِّر البُنية التّحتيّة للاتّصال في لبنان إمكانيّة الوصول السّلس لوسائل التّواصل الاجتماعيّ، ما يجعلها متاحة بشكلٍ كبير بين جميع الطّلّاب، سواء كانوا من الجامعات العامّة أو الخاصّة.

هـ. المنهجيّة التّعليميّة: رُبَّما تُسهم أساليب التّدريس والتّعلُّم في الجامعات، وخصوصًا في تخصُّصات الإعلام، في تعزيز سلوكات استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ بشكلٍ متشابه بين الطّلّاب.

يُشير هذا التّقارب في النّتائج إلى أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تُشكِّل سلوكات الطّلّاب وتفضيلاتهم بشكلٍ متشابه، ما يجعل الأبحاث والمبادرات المستقبليّة تنظر إلى هذه الجماعات على أنّها كيان واحد في ما يتعلق بالاستخدام الرّقميّ وتأثيراته.

2. استخدام وسائل التّواصل الاجتماعيّ:

إنَّ الشّريحة المستهدَفَة تقضي في المتوسّط أربع ساعات يوميًّا على وسائل التّواصل الاجتماعيّ، مع توزيع الاهتمام بشكلٍ رئيس على تيك توك (45%) وإنستغرام (40%)، في حين يبدو فيسبوك (10%) وتويتر (3%) أقلّ شعبيّة. هذا التّوزيع يُشير إلى تحوُّلٍ في تفضيلات المستخدِمين نحو منصّات تُقدِّم تجارب تفاعليّة وبصريّة أكثر غنًى. وهذا يُسلّط الضّوء على تحوُّلِ الأولويّات والمصالح بين جمهور اليوم، مع تزايد الرّغبة في المحتوى القصير والتّفاعليّ الذي يُقدِّمه تيك توك وإنستغرام.

3. التّعرُّض لوجهات نظر متنوّعة:

تُظهر البيانات أنَّ 65% مِنَ المستخدِمين يجدون أنفسهم نادرًا ما يتعرَّضون لوجهات نظر متنوّعة، بينما يشعر 20% بأنَّهم في بعض الأحيان يصادفون آراء مختلفة، ويرى 15% منهم أنَّهم غالبًا ما يواجهون تنوّعًا في الآراء. هذا يُسلِّط الضّوء على تحدٍّ كبير ضمن بيئة وسائل التّواصل الاجتماعيّ؛ إذ تتّخذ خوارزميّات المحتوى دورًا في تشكيل «فقّاعات» تعمل على ترسيخ الآراء القائمة بدلًا مِنَ التّحدّي والاستجواب، ما يُخفِّض مِن احتمال التّعرُّض لوجهات نظر جديدة أو مغايرة.

4. التّأثير في الهُويّة الشّخصيّة:

يُشير 70% من المستخدِمين إلى أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تتيح فرصة أكبر للتّعبير عن الذّات، في حين يعتقد 50% منهم أنَّه يتوجَّب عليهم تعديل هُويّاتهم الإلكترونيّة لتلائم التّوقّعات الاجتماعيّة. يُسلِّط هذا التّناقض الضّوء على التّحدِّي في إيجادِ توازنٍ بين البقاء وفيًّا للذّات الحقيقيّة، والخضوع للضّغوط الاجتماعيّة بهدف التّوافق مع المعايير والاتّجاهات السّائدة، خصوصًا أنَّ 65% يَرَوْنَ تيك توك منبرًا للتّعبير الذّاتيّ الإبداعي، بينما يعاني 40% من ضغوط للإيقاع مع ترندات تيك توك.

5. الحسابات الوهميّة وأهدافها:

تشير الأرقام إلى أنَّ 39% مِنَ المستخدِمين يمتلكون حسابات وهميّة على وسائل التّواصل الاجتماعيّ، بينما 25% لا يستخدمون هذه الحسابات، و20% كانوا يمتلكونها في الماضي. وهذا يُظهر أنَّ الحسابات الوهميّة لا تزال تُشكِّل جزءًا مهمًّا

من تجربة المستخدِمين على الإنترنت، مع ملاحظة أنَّ 14% منهم لم يُقدِّموا إجابة واضحة حول الموضوع.

أمَّا بالنّسبة إلى أولئك الذين لديهم أو كانت لديهم حسابات وهميّة، فإنَّ أهدافهم من استخدامها تُظهر رغبات وتحدِّيات مختلفة:

أ. أفاد 40% مِنَ المستخدِمين أنَّ الحسابات الوهميّة كانت وسيلة للتّعبير عن هُويّاتهم الحقيقيّة، ما يعكس رغبتهم في التّعبير بحرِّيّة عن آرائهم أو جوانب من شخصيّاتهم في بيئة تُوفِّر لهم الخصوصيّة.

ب. 35% مِنَ المستخدِمين ذكروا أنَّهم يستخدمون الحسابات الوهميّة بهدف الحفاظ على الخصوصيّة، ما يعكس مدى رغبتهم في حماية هُويّاتهم الحقيقيّة مِنَ التّعرضّ العامّ عبر الإنترنت.

ج. أشار 15% مِنَ المستخدِمين إلى أنَّ الهدف من الحسابات الوهميّة كان الهروب مِنَ القيود المجتمعيّة، ما يعكس الضّغط الذي يشعر به المستخدِمون لتقديم صور مختلفة عن تلك المتوقَّعة في الحياة اليوميّة.

د. وأخيرًا، 10% مِنَ المستخدِمين قالوا بأنَّهم يستخدمون الحسابات الوهميّة للمشاركة في النّقاشات الحسّاسة، ما يشير إلى أنَّهم يشعرون بالحاجة إلى إخفاء هُويّاتهم الحقيقيّة عند مناقشة الموضوعات المثيرة للجدل.

تكشف هذه الإحصاءات عن أنَّ الحسابات الوهميّة تُستخدم وسيلةً للتّنقّل بين متطلّبات التّعبير عن الذّات وضغوط المجتمع. ويشير ذلك إلى أنَّ العديد مِنَ المستخدِمين يعتمدون على الحسابات الوهميّة لتشكّل أداة لتحقيق التّوازن بين تقديم هُويَّتهم الرّقميّة والواقع الاجتماعيّ الذي قد يَفرض قيودًا على التّعبير بحرِّيّة.

6. تكوين العلاقات وصيانتها:

تُسهم وسائل التّواصل الاجتماعيّ في الحفاظ على العلاقات القائمة بالنّسبة إلى 80% من المستخدمين، وقد أفضت إلى بناءِ علاقات جديدة ذات قيمة لـ 40% منهم. في المقابل، يواجه 25% من المستخدِمين تجارب متوتّرة في علاقاتهم بسبب الاختلافات التي تَحدُث عبر الإنترنت. تعكس هذه الإحصائيّات الدّور المزدوج الذي تؤدّيه وسائل التّواصل الاجتماعيّ في تقوية الصّلات الاجتماعيّة، وفي الوقت ذاته تُبرز التحدِّيات المصاحبة للتّفاعل الرّقميّ.

7. الإدراكات والمشاركة في غرف الصّدى:

الإدراك لوجود المستخدم في غرفة صدى يظلّ محدودًا؛ حيث يعي 5% فقط من المستخدِمين هذا الوضع. في أوساط مستخدِمي تيك توك، تقلّ هذه النّسبة إلى 3%، ما يُسلِّط الضّوء على ضعف الوعي بتأثيرات الخوارزميّات على التّجربة الإعلاميّة. بينما ينظر 15% إلى غرف الصّدى بنظرة إيجابيّة، يرى 35% أنَّ لها تأثيرًا سلبيًّا، ما يدلّ على ضرورة تعزيز الفهم حول كيفيّة تأثير هذه البيئات على نموِّ الآراء والمفاهيم.

8. الانخراط الاجتماعيّ والسّياسيّ:

تُظهر الدّراسات أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تُسهم في زيادة الاستعداد للمشاركة في الأنشطة السّياسيّة عند 30% من المستخدِمين، وتقوية الإحساس بالوعي بالقضايا الاجتماعيّة والسّياسيّة لدى 45% منهم. من ناحية أخرى، يعاني 25% من المستخدِمين من الشّعور بالإرهاق نتيجة التّعرّض المستمرّ للمحتوى الاجتماعيّ والسّياسيّ؛ ما يُلقي الضّوء على التحدِّيات المصاحِبَة لهذا النّوع من التّعرُّض المعلوماتيّ. إنَّ تحفيز المشاركة في القضايا المستوحاة من منصّات مثل تيك توك، يُبرهن على الدّور المهمّ للمنصّات الرّقميّة في تعزيز الانخراط السّياسيّ والاجتماعيّ، غير أنَّه يستلزم أيضًا اتّباع نهج متوازن لمواجهة التّأثيرات السّلبيّة المحتملة على الصّحّة النّفسيّة.

التّعبير عن الذّات والهُويّة الفرديّة

أفاد الطّلّاب بأنَّ شبكات التّواصل الاجتماعيّ، وعلى وجه الخصوص منصّة تيك توك، تُشكِّل عنصرًا مهمًّا لاستكشافهم لهُويّاتهم الشّخصيّة وتقديمها. يتميَّز تيك توك بتقديم فرصة للإبداع الحرّ غير المسبوقة مقارنة بمنصّات أخرى، ما يُوفّر وسيلة فريدة للتّعبير عن النّفس.

1. تعزيز الإبداع واكتشاف المواهب:

ذَكَرَ أحد الطّلّاب أنَّ منصّة تيك توك كانت منصّة مثاليّة لتطوير مهاراته في التّمثيل، فمن خلال نشره لمقاطع فيديو قصيرة تعرض مواهبه التّمثيليّة، حصل على ردود فعل إيجابيّة من الجمهور، ما عزَّز ثقته بنفسه وشجَّعه على تطوير هذه المهارة. أشار إلى أنَّ هذا التّفاعل الإيجابيّ دفعه إلى التّفكير في متابعة مسار التّمثيل بجدِّيّة أكبر، بما يتجاوز مجرَّد الهواية.

2. التّعبير عن الاهتمامات وتنمية الشّخصيّة:

أشارت طالبة إلى أنَّ تيك توك ساعدها في اكتشاف شغفها بالتّصميم الدّاخليّ. بدأت بمشاركة أفكارها في الدّيكور ونصائحها للآخرين من خلال مقاطع فيديو قصيرة، الأمر الذي أدَّى إلى تحسين مستوى تفاعلها مع المجتمع الرّقميّ وتعزيز شعورها بالإنجاز والفخر.

3. ضغوط مواكبة التّرندات:

أوضح أحد الطّلّاب أنَّه يشعر بالضّغط لمواكبة التّرندات الشّائعة على المنصّة، وهذا أدَّى إلى تصرّفه بطرق لا تعكس حقيقته. اعترف بأنَّه أحيانًا شارك في تحدِّيات وتوجّهات كانت خارج نطاق اهتماماته فقط للحصول على الإعجابات والمتابعات، ما جعله يشعر بالإرهاق نتيجة لهذا السّعي المستمرّ لتحقيق الشّعبيّة الرّقميّة.

4. التّناقض بين الهُويّة الرّقميّة والواقعيّة:

طالبة أخرى، عبَّرت عن نفسها أنَّها شخصيّة خجولة في الحياة العاديّة، قالت بأنَّها أنشأت شخصيّة مختلفة تمامًا على تيك توك، بحيث تظهر جرأتها وحيويّتها على المنصّة. ومع ذلك، فإنَّها تشعر بالتّناقض بين هُويّتها الإلكترونيّة وشخصيّتها الواقعيّة، ما يُؤثِّر على ثقتها بنفسها في الحياة الحقيقيّة. كما ذكرت أنَّ هذا التّباين يُسبِّب لها في بعض الأحيان عدم الرّضى عن هُويّتها الحقيقيّة؛ إذ تشعر بالحاجة إلى تقديم صورة مختلفة لجذب الاهتمام.

5. التّناقض مع الهُويّة الدّينيّة:

ذكر طالب آخر أنَّ هُويّته المُعلنة على وسائل التّواصل الاجتماعيّ، والتي تتضمَّن تعبيرات دينيّة، لا تتوافَق دائمًا مع سلوكاته على تيك توك. فقد وَجَدَ نفسه يُشارك في تحدِّيات ومحتوًى لا يتوافق مع هُويّته الدّينيّة المُعلنة؛ ما جعله يشعر بالتّناقض بين ما ينشره عبر المنصّة وما يُؤمن به في حياته الواقعيّة. هذا الأمر، كما أشار، أثَّر على نظرته إلى نفسه وزادَ من شعوره بالتّوتّر حيال تقديم هُويّته بشكلٍ أكثر صدقًا.

مشكلة غرف الصّدى والتّنوُّع الفكريّ

في البداية، وبعد سؤال الطّلّاب عن مفهوم غرف الصّدى، وجدنا أنَّ هذا المفهوم لم يكن واضحًا بشكلٍ كامل للطّلّاب، ما استدعى شرحه في الاستمارات

والمقابلات التي أُجريت معهم. وبعد هذا الشّرح أظهرت المقابلات مخاوف واضحة بين الطّلّاب بشأن تأثير غرف الصّدى، خصوصًا على منصّة تيك توك، بسبب خوارزميّاتها التي تُصفّي المحتوى بشكلٍ يُعزِّز الآراء السّائدة.

1. تأثير الخوارزميّات على تشكيل الاهتمامات والقناعات:

من خلال المقابلات، أوضح الطّلّاب أنَّ خوارزميّات تيك توك ساعدتهم على اكتشاف محتوًى لم يكونوا على دراية به مِن قَبل؛ ما أدَّى إلى تطوير اهتمامات وقناعات جديدة لديهم. ذكر أحد الطّلّاب أنَّ «تيك توك قادني إلى اكتشاف أنواع جديدة من المحتوى لم أكن أعلم بوجودها»، موضحًا أنَّه في البداية لم يكن لديه اهتمام بمجالٍ مُعيَّن، ولكن بعد مشاهدة بعض مقاطع الفيديو، بدأ يشعر بحماس تُجاه هذا المحتوى وأصبح يتابعه بانتظام.

2. اكتساب اهتمام جديد بالموسيقى:

أوضح أحد الطّلّاب أنَّه بدأ بمتابعة تيك توك من دون أيِّ اهتمام بالموسيقى، لكنَّه وجد نفسه بمرور الوقت يُشاهد مقاطع فيديو موسيقيّة لعدد من المطربين العامِّيين الذين لم يَسمع بهم من قبل، والذين لم يكن أهله يسمحون له الاستماع إليهم بشكلٍ مباشر؛ كون هذا النّوع من الغناء محرَّمًا شرعًا. ولكنَّ التّعرّض المستمرّ لمحتواهم أدَّى إلى تعلّقه الكبير بهذا النّوع مِنَ الموسيقى وتعزيز رغبته في تعلُّم العزف على الجيتار، وهو الآن يتلقَّى دروسًا خاصّة ويتابع باستمرار المحتوى الموسيقيّ على المنصّة لتعلّم تقنيّات جديدة.

3. تعزيز القناعات تُجاه القضايا:

من خلال التّعرُّض المتكرِّر للمحتوى على تيك توك، يجد الطّلّاب أنَّ الخوارزميّات تُعزِّز قناعاتهم تُجاه قضايا مختلفة، وخصوصًا في الجوانب التّرفيهيّة. ذكرت طالبة أنَّها لم تكن تعرف الكثير عن قضايا الصّحّة واللّياقة البدنيّة قبل أن تبدأ بمتابعة تيك توك، لكنَّها بعد مشاهدة العديد من مقاطع الفيديو حول هذا الموضوع، أصبحت أكثر اهتمامًا بالصّحّة البدنيّة والتّمارين الرّياضيّة، وتقول الآن إنَّها تمارس الرّياضة بانتظام وتُتابع محتوى اللّياقة باستمرار.

4. الاهتمام بالأزياء والموضة:

تحدَّثت طالبة أخرى عن كيفيّة مساعدة تيك توك لها في اكتساب اهتمامات جديدة في عالمِ الأزياء والموضة. قالت بأنّها لم تكن تعرف الكثير عن الموضة مِن

قَبل، ولكن بعد مشاهدة العديد من مقاطع الفيديو حول هذا الموضوع، أصبحت أكثر اهتمامًا بتجربة أنماط ملابس جديدة وتعلّم تقنيّات المكياج. وأضافت أنَّ المحتوى المتكرِّر الذي تراه على تيك توك يُعزِّز باستمرار معرفتها بهذا المجال، ما دفعها إلى متابعة أشهر المؤثّرين في عالم الموضة.

المقارنة بتجاربهم على المنصّات الأخرى

تُشكِّل منصّات التّواصل الاجتماعيّ جزءًا مهمًّا من حياة الطّلّاب في العصر الرّقميّ؛ إذ يختلفون في استخدامهم لهذه المنصّات، بحسب اهتماماتهم واحتياجاتهم الفرديّة. بينما يُعدّ تيك توك منصّة بارزة بسبب طبيعتها المبتكرة والجذّابة، تبرز أيضًا منصّات أخرى مثل تويتر ويوتيوب بشكلٍ مختلف. يُقدِّم الطّلّاب تجاربهم الفريدة على هذه المنصّات، ما يعكس التّنوُّع في احتياجاتهم واستخداماتهم، ويوضح تفضيلاتهم الواضحة تُجاه كلّ منصّة.

1. تويتر مثالًا للتّنوّع:

بالمقارنة مع تيك توك، ذَكَرَ الطّلّاب أنَّهم يَجِدون تويتر أكثر تنوّعًا من حيث المحتوى والأفكار. أوضح أحد الطّلّاب أنَّه «في منصّة تويتر، يمكنني بسهولة رؤية تغريدات من أشخاص لديهم وجهات نظر مختلفة؛ ما يجعلني أتعرَّف على المزيد من الآراء»، مشيرًا إلى أنَّ نظام إعادة التّغريد والمناقشات الجماعيّة يجعل مِنَ السّهل التّعرُّف على أفكار متنوّعة. شارك طالب آخر تجربته المشاركة في نقاشات على تويتر أثْرَت معرفته بقضايا لم يكن يَعرف عنها الكثير سابقًا.

2. تجربة يوتيوب:

أشار طالب آخر إلى أنَّ يوتيوب يُظهر له تنوّعًا أكبر في مقاطع الفيديو الموصَى بها؛ ما يساعده على الاطّلاع على محتوًى أوسع مقارنة بتيك توك. وأوضح أنَّ نظام التّوصيات في يوتيوب يُقدِّم مقاطع فيديو من قنوات مختلفة، ما يعطيه فرصة أفضل لاكتشاف أفكار جديدة.

3. تيك توك مكانًا للرّاحة:

في حين تُقدِّم المنصّات الأخرى، مثل تويتر ويوتيوب تنوّعًا في المحتوى، ذكر العديد مِنَ الطّلّاب أنَّ تيك توك يُوفِّر لهم محتوًى يتوافق مع اهتماماتهم بشكلٍ أفضل. عبَّر طالب عن هذا قائلًا: «عندما أرغب في الاسترخاء أو الاستمتاع

بالمحتوى الذي أُحبّه، أتوجّه إلى تيك توك؛ لأنَّه عمليًّا يفهمني ويُقدِّم لي ما أُفضّله؛ ما يريحني بعيدًا عن الضّغوط النّاتجة عن التّعرُّض لمحتوى مختلف مع آرائي».

أكّدت طالبة أخرى أنَّ تيك توك يُوفِّر لها بيئة آمنة لمتابعة المحتوى الذي يُوافق اهتماماتها. قالت بأنَّها تُحبّ العودة إلى تيك توك لأنَّها تشعر بالرّاحة عند تصفُّح مقاطع الفيديو التي تُناسب ذوقها، مضيفةً أنَّها أحيانًا تجد التّنوّع الكبير في منصّات أخرى مزعجًا؛ لأنَّها تُفضِّل قضاء وقتها في الاستمتاع بالمحتوى الذي يُطابق ذوقها الشّخصيّ.

تكوين العلاقات الاجتماعيّة

حظيت شبكات التّواصل الاجتماعيّ بتقدير كبير لدورها في تعزيز العلاقات القائمة وإنشاء علاقات جديدة؛ إذ تمَّ التّنويه، خصوصًا إلى تيك توك، بتصنيفه وسيلة فعّالة للرّبط بين أفراد المجتمع العالميّ الذين يتشاركون الاهتمامات نفسها. بَيْدَ أنَّه تم التّعبير عن بعض القلق بخصوص الطّابع السّطحيّ لبعض التّفاعلات الإلكترونيّة واحتمال وقوع سوء تفاهم ونشوب صراعات تمتدّ آثارها إلى العلاقات في الواقع الملموس. كما جرى التّطرُّق إلى أنَّ الطّابع الفوريّ والمفتوح للتّواصل عبر هذه المنصّات، يمكن أن يكون له تأثير مزدوج، بحيث يُسهم في تقوية الرّوابط من خلال الخبرات المشتركة، وفي الوقت ذاته يُفضي إلى حدوث انشقاقات نتيجة التّعرّض لوجهات نظر متباينة.

1. تعزيز العلاقات ونسج علاقات جديدة:

تُشير المعطيات الكمِّيّة إلى أنَّ 80% مِنَ المستخدمين يَرَوْنَ أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تُساعد في الحفاظ على العلاقات القائمة، و40% يَرَوْنَ أنَّها تُساعد في إنشاء علاقات جديدة. وَجَدَ الطّلّاب في تيك توك أداةً فعّالة للرّبط بين أفراد المجتمع العالميّ الذين يتشاركون الاهتمامات نفسها. قال أحد الطّلّاب: «تيك توك ساعدني في التّواصل مع أصدقاء لديهم اهتمامات مشتركة، وأحيانًا ألتقي بأشخاص مِن دول أخرى ومن مناطق لبنانيّة مختلفة ممَّن يشاركونني الاهتمامات نفسها».

2. القلق من الطّابع السّطحيّ للتّفاعلات:

أَعرَبَ البعض عن قلقهم من الطّابع السّطحيّ لبعض التّفاعلات الإلكترونيّة على تيك توك. أفاد طالب بأنَّ «التّفاعلات السّريعة على تيك توك يمكن أن

تـؤدِّي إلى سـوء فهـم»، حيـث ذكـر أنّـه تعـرَّض لصـراع مـع صديـق بسـبب تعليـق كَتَبَـهُ بتهـوُّر، ورأى صديقـه هـذا التّعليـق مُسـيئًا مـا أدَّى إلـى نشـوبِ صـراع أثّـر علـى علاقتهما، علـى الرّغـم مـن أنَّـه لـم يقصـد مـا فهمـه صديقـه وعـدّه مسـيئًا.

3. تأثير التّواصل الفوريّ والمفتوح:

يُظهـر التّحليـل الكمِّـيّ أنَّ 25% مِـنَ المسـتخدمِين واجهـوا تجـارب متوتّـرة فـي علاقاتهـم بسـبب الخلافـات التـي تَحـدُث عبـر الإنترنـت. علّـق أحـد الطّـلّاب قائـلًا: «النّقاشـات السّـريعة علـى وسـائل التّواصـل الاجتماعـيّ، خصوصًـا تيـك تـوك، قـد تـؤدِّي إلـى سـوء فهـم نتيجـة التّعـرّض لوجهـات نظـر متباينـة». وأكَّـدت طالبـة أخـرى أنَّ انخراطهـا فـي مناقشـات سياسـيّة علـى تيـك تـوك أثَّـر علـى علاقتها ببعـض أصدقائهـا؛ إذ شـعرت بـأنَّ بعضهـم بـدأوا بالابتعـاد عنهـا بسـبب آرائهـا السّياسـيّة.

وأضـاف طالـب آخـر أنَّ بعـض خصائـص تيـك تـوك التـي تسـمح لمقدِّمـي المحتوى بالـرّدّ علـى تعليقـات المسـتخدمِين فـي مقاطـع الفيديـو الخاصّـة بهـم، يُعتقـد أنّهـا تُعـزِّز التّفاعـل، ولكنَّهـا فـي الواقـع تـؤدِّي إلـى تعميـم النّفـس السّـلبيّ بيـن المتابعِيـن. أشـار إلـى أنَّ توسـيع نطـاق الهجـوم والانتقـاد مـن خـلال المحتـوى الـذي يـردّ علـى التّعليقات المثيـرة للجـدل يزيـد التّفاعـل، لكنَّـه قـد يزيـد مـن حـدَّة الصّـراع بيـن المسـتخدمين، مـا يـؤدّي إلـى تفاقـم التّوتـرات فـي العلاقـات الشّـخصيّة.

4. تأثير الخبرات المشتركة على تقوية الرّوابط:

ذَكَـرَ العديـد مـن الطّـلّاب أنَّ تيـك تـوك سـاهم فـي تقويـة الرَّوابـط مـن خـلال الخبـرات المشـتركة. قـال طالـب: «أصبحـت قريبًـا مـن أصدقائي بعـد أن شـاركنا تجارب مشـتركة علـى تيـك تـوك»، وأضـاف أنَّ مشـاركة مقاطـع الفيديـو والتَّعليق على منشـورات الآخريـن سـاعده فـي تعزيـز علاقاتـه. وأوضـح أنّ مشـاركة التّحدِّيـات والاتّجاهـات الرّائجـة علـى تيـك تـوك مـع أصدقائـه جعلتهـم يقضـون أوقاتًـا ممتعـة معًـا؛ مـا عـزَّز مـن صداقتهـم.

مـن جانـب آخـر، قالـت طالبـة بـأنَّ تيـك تـوك جعلهـا أقـرب إلـى أصدقائهـا؛ إذ اسـتخدمت المنصّـة للتّخطيـط لأنشـطة مشـتركة بنـاءً علـى التحدِّيـات والأفـكار التـي كانـت تشـاهدها. وقـد ذكـرت أنَّ المشـاركة فـي تحدِّيـات الرّقـص والألعـاب سـاعدتها فـي بنـاء علاقـات أقـوى مـع أصدقائهـا الجـدد، وجعلتهـم يتشـاركون التّجـارب التـي تُعزِّز الرّوابـط بينهـم.

أفاد طالب آخر أنَّه أصبح على اتّصال بأفراد من المجتمع نفسه من خلال تيك توك؛ إذ وفَّرت المنصّة بيئة مُشجّعة للتّعبير عن هُويّته والانضمام إلى مجموعات متخصّصة تُشاركه الاهتمامات. قال: «ساعدني تيك توك في العثور على أشخاص يشاركونَني الاهتمامات نفسها والتّفاعل معهم؛ ما عزَّز شعوري بالانتماء للمجتمع».

المشاركة السّياسيّة والنّشاط الاجتماعيّ

اتّخذت وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وخصوصًا منصّة تيك توك، دورًا ملموسًا في تعزيز المشاركة السّياسيّة والنّشاط الاجتماعيّ بين طلّاب الجامعات في لبنان. تمَّت الإشادة بقدرة تيك توك على إذاعة المعلومات بشكلٍ سريع وحثّ المستخدمِين على زيادة الوعي والتّفاعل مع القضايا الاجتماعيّة والسّياسيّة. على الجانب الآخر، جرى التّحذير من خطر انتشار المعلومات الخاطئة والتّأثير النّفسيّ السّلبيّ النّاتج عن التّعرّض المتواصل لأخبار قد تكون مؤلمة. أكَّد الطّلّاب على ضرورة امتلاك مهارات التّفكير النّقديّ والنّزاهة الإعلاميّة للتّمكُّن مِنَ الملاحة بفعاليّة في المناخ المعقَّد للنّشاط الإلكترونيّ.

أفاد العديد من الطّلّاب بأنَّهم وجدوا في تيك توك مساحة للتّعبير عن دعمهم للقضيّة الفلسطينيّة؛ إذ أوضح أحد الطّلّاب بأنَّ تيك توك كان منصّة قويّة لإيصال صوت المناصرين للقضيّة. وأضاف أنَّ خوارزميّات تيك توك لم تُضيِّق على المحتوى المؤيِّد لفلسطين، كما هي الحال في منصّات ميتا (فيسبوك وإنستغرام)، ما جعل المنصّة تمتلئ بمقاطع الفيديو التي تُعبِّر عن الدّعم لفلسطين.

ورأى العديد من الشّباب أنَّ مساهماتهم النّضاليّة تأتي من خلال نشر المحتوى الفلسطينيّ وزيادة الوعي بالقضيّة. وذكر بعضهم أنَّ المشاركة الافتراضيّة هي الأهمّ بالنّسبة إليهم مقارنة بالمشاركة في المظاهرات والاعتصامات؛ إذ يَرَوْن في نشرِ المحتوى وسيلة فعّالة للوصول إلى جمهور أوسع وزيادة تأثير القضيّة.

أشارت طالبة إلى أنَّ طوفان المحتوى الفلسطينيّ اجتاح تيك توك، ما ساعد في نشرِ الوعي بالقضيّة بشكلٍ غير مسبوق. وقالت بأنَّ متابعة هذا المحتوى ساعدها على معرفة تفاصيل الأحداث بشكلٍ مستمر، ودفعها إلى مشاركة المزيد من المحتوى المؤيِّد لفلسطين، بالإضافة إلى نشرِ الوعي حول أهمِّيّة الدّعم

للقضيّة في أوساط معارفها.

لاحظ الطّلّاب من خلال التّفاعل مع المحتوى الفلسطينيّ على تيك توك حاجتهم إلى مزيد من المعرفة السّياسيّة حول الأحداث والتّفاصيل التّاريخيّة المرتبطة بالصّراع العربيّ-الإسرائيليّ. دفعهم هذا إلى البحث عن محتوى أكثر تفصيلًا لتعزيز آرائهم في أثناء النّقاشات، خصوصًا خلال البثّ المباشَر والرّدّ على التّعليقات. وقد ذهب بعضهم إلى البحث عن المحتوى خارج تيك توك، مشيرين إلى أنَّ المحتوى الرّصين والمعلومات الموثوقة توجد على المواقع الإلكترونيّة أو على يوتيوب. يشير ذلك إلى وجود انعدام ثقة في المحتوى المقدَّم على تيك توك، ما دفعهم للبحث عن مصادر معلومات أخرى لتقديم فهم أعمق وأدقّ عن القضيّة الفلسطينيّة.

على الجانب الآخر، جرى التّحذير مِن خطر انتشار المعلومات الخاطئة والتّأثير النّفسيّ السّلبيّ النّاتج عن التّعرُّض المتواصل لأخبار قد تكون مؤلمة؛ إذ يعاني 25% من الطّلّاب مِنَ الشّعور بالإرهاق نتيجة التّعرُّض المستمرّ للمحتوى الاجتماعيّ والسّياسيّ.

الصّحّة النّفسيّة

عبّر عدد من الطّلّاب عن تجاربهم مع تأثيرات وسائل التّواصل الاجتماعيّ في صحّتهم النّفسيّة، ملقين الضّوء على الجوانب الإيجابيّة والسّلبيّة على حدٍ متساوٍ.

1. الجوانب الإيجابيّة:

ذكرت طالبة أنَّها تجد في تيك توك منصّة توفّر لها التّرفيه والإلهام، فقالت: «أُحبّ تصفُّح تيك توك؛ لأنّه يجعلني أضحك ويُقدِّم لي الكثير من الأفكار الإبداعيّة». وأضافت أنَّها تفضل متابعة الحسابات التي تُقدِّم محتوى مفيدًا وممتعًا؛ ما يساعدها على الاسترخاء بعد يوم دراسيّ طويل.

أشار طالب آخر إلى أنَّ منصّات مثل تيك توك وإنستغرام سمحت له بالبقاء على اتّصال مع أصدقائه وزملائه، إذ يتبادل معهم المحتوى اليوميّ بشكلٍ سريع؛ ما يُعزِّز الرّوابط بينهم بالرّغم من المسافات.

2. الجوانب السّلبيّة:

ومع ذلك، عانَى العديد من الطّلّاب من الآثار السّلبيّة للاستخدام المفرط لمنصّات التّواصل الاجتماعيّ. ذكرت طالبة أنَّ الضّغط لمواكبة تدفُّق المحتوى المستمرّ والمقارنة مع حياة الآخرين المعدّلة جعلها تشعر بالنّقص والقلق. أوضحت أنَّ رؤية حياة الآخرين المثاليّة على تيك توك أحيانًا تجعلها تشعر بأنَّ حياتها ليست جيّدة بما يكفي.

وأوضحت طالبة أنَّها تشعر بالإرهاق النّفسيّ بسبب كثرة الأخبار السّلبيّة المتعلّقة بالقضيّة الفلسطينيّة، والتي تتابعها على تيك توك. كما أشارت إلى أنَّ تدفُّق هذا المحتوى بشكلٍ مستمرّ يجعلها تشعر بالضّغط النّفسيّ، ما دفعها إلى أخذ فترات استراحة من المنصّة لتجنّب الآثار السّلبيّة لهذا الكمّ مِنَ المحتوى. وأوضحت أنَّ هذا الأمر ليس بسبب القضيّة الفلسطينيّة نفسها، ولكن بسبب الزّخم المتواصل في تغطية الأحداث العنيفة والمؤلمة.

استراتيجيّات التّنظيم

في مناقشاتهم، تناول الطّلّاب استراتيجيّات مختلفة لتنظيم استخدامهم لوسائل التّواصل الاجتماعيّ. ذَكَرَ أحدهم أنَّه بدأ في وضع قيود زمنيّة للتّواجد على تيك توك؛ إذ يُخصّص وقتًا مُحدَّدًا للتّصفّح يوميًّا. أشار إلى أنَّ هذه الطّريقة ساعدته في التّركيز على دراسته وتقليل التّوتّر النّاتج عن الاستخدام المفرط لوسائل التّواصل.

أكّدت طالبة أخرى على أهمّيّة أخذ استراحات بانتظام من وسائل التّواصل الاجتماعيّ، مشيرة إلى أنَّها تحاول تجنّب تصفّح المنصّات الرّقميّة عند استيقاظها صباحًا، بدلًا من ذلك تُفضِّل قضاء بعض الوقت في القراءة أو ممارسة الرّياضة.

في حين وجدوا في منصّات مثل تيك توك مكانًا للتّرحيب والتّسلية، غالبًا ما كان الضّغط لمتابعة السّيل الدّائم مِنَ المحتوى والمقارنة بحياة الآخرين المعدّلة سببًا في شعورهم بالنّقص والقلق. تناولت المناقشات أيضًا استراتيجيّات لتنظيم استخدام وسائل التّواصل، مثل وضع قيود زمنيّة للتّواجد عليها وأخذ استراحات بانتظام، مؤكّدة على أهمّيّة تبنّي ممارسات تُعزِّز التّرفيه في الفضاء الرّقميّ.

في الخلاصة، تبرز الدّراسات النّوعيّة من الطّلّاب الجامعيّين في لبنان الأثر الشّامل لوسائل التّواصل الاجتماعيّ على أصعدة عدَّة في حياتهم، تتراوح بين

تشكيل الهُويّة والعلاقات الاجتماعيّة إلى الانخراط في الأنشطة السّياسيّة وتأثيرات في الصّحّة النّفسيّة. يتميَّز تيك توك بدوره البارز في تمكين المستخدِمين من التّعبير عن أنفسهم وتنمية الشّعور بالانتماء المجتمعيّ، كما يُنظر إليه على أنَّه مصدر لبعض التّحدِّيات المتعلّقة بالتّأثيرات السّلبيّة على الصّحّة النّفسيّة، فضلًا عن مشكلات غرف الصّدى، وجودة التّواصل الاجتماعيّ. تشير هذه الاستنتاجات إلى طبيعة العلاقة المعقَّدة والمتنوّعة التي يحملها الشّباب مع منصّات التّواصل الاجتماعيّ، ما يؤكِّد ضرورة اعتماد نهج متوازن وتطوير الوعي النّقديّ لديهم لمواجهة التّحدِّيات واستغلال الفرص التي توفّرها هذه المنصّات.

تطبيق النّظريّات على النّتائج

1. الاتّصال فائق الشّخصيّة[1]:

يوضح «جوزيف والثر» كيف يمكن للاتّصال عبر الإنترنت أنْ يُساهم في تطوير علاقات حميميّة ومثاليّة بفضل خصائصه المميَّزة. يعكس ذلك شعور 70% من المستخدِمين بأنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تتيح لهم فرصة أكبر للتّعبير عن الذّات. هذه النّتيجة تشير إلى أنَّ الطّلّاب يشعرون بالقدرة على تقديم نسخ محسّنة ومثاليّة من أنفسهم على تيك توك، ما يُعزِّز من علاقاتهم الاجتماعيّة بطريقة تتجاوز التّفاعلات الشّخصيّة الواقعيّة. وفاقًا لـ«جوزيف والثر»، فإنّ الخصائص المميّزة للإنترنت، مثل الانتقائيّة والتّحكّم في العرض الذّاتيّ، تُمكِّن الأفراد مِن بناء علاقات أكثر حميميّة ومثاليّة عبر الإنترنت مقارنة بالتّفاعلات المباشرة. على سبيل المثال، ذكر أحد الطّلّاب أنَّ تيك توك ساعده في تطوير مهاراته في التّمثيل بفضل ردود الفعل الإيجابيّة التي تلقَّاها، ما يعكس كيفيّة تحقيق الاتّصال الحميميّ المثاليّ عبر الإنترنت.

2. تأثير فقدان الرّادع عبر الإنترنت[2]:

يناقش «جون سولر» كيف أنَّ التّخفّي الذي تُوفِّره البيئات الإلكترونيّة يمكن أنْ يؤدِّي إلى التّعبير بحرِّيّة أكبر عن الذّات بطرق قد تكون غير ممكنة في الواقع.

1- Joseph Walther, Computer-Mediated Communication: Impersonal, Interpersonal and Hyperpersonal Interaction.

2- John Suler, The online disinhibition effect.

يعكس ذلك شعور 50% من المستخدمِين بأنَّ عليهم تعديل هُويّاتهم الإلكترونيّة لتلائم التّوقّعات الاجتماعيّة. تعكس هذه النّتيجة الضّغط الذي يشعر به الطّلّاب لمواكبة التّوقعات الاجتماعيّة و«التّرندات» على تيك توك؛ ما يدفعهم أحيانًا لتقديم هُويّات مُعدَّلة عن شخصيّاتهم الحقيقيّة. يدعم هذا فكرة «جون سولر» بأنَّ التّخفّي على الإنترنت يُتيح للأفراد حرِّيّة أكبر في التّعبير عن أنفسهم بطرق مختلفة. على سبيل المثال، أوضحت طالبة أنَّها تشعر بحرِّيّة أكبر في التّعبير عن نفسها على تيك توك بطرق لا تستطيعها في الواقع؛ ما يُعزِّز من فَهم تأثير الإخفاء على المنصّة.

3. غرف الصّدى وفقّاعات التّصفية[1]:

يشير «كاس سونستين» و«إيلي باريسر» إلى كيفيّة إدارة الخوارزميّات للمحتوى بطريقة تُعزّز الآراء القائمة وتُقلِّل مِنَ التّعرُّض لوجهات نظر مختلفة. يعكس ذلك أنَّ 65% مِنَ المستخدمِين نادرًا ما يتعرَّضون لوجهات نظر متنوّعة، ما يوضح كيف تؤدِّي خوارزميّات تيك توك إلى إنشاء فقّاعات معلوماتيّة تُعزِّز الآراء والمعتقدات القائمة للمستخدمِين، ما يُقلِّل مِن فرص التّعرُّض لوجهات نظر مغايرة. هذا يدعم فكرة غرف الصّدى وفقّاعات التّصفية التي تؤدِّي إلى استقطاب المستخدمِين وتقليل التّنوّع الفكريّ.

في المقابلات العميقة، أَعْرَبَ العديد من الطّلّاب عن شعورهم بأنَّ تيك توك يُعرّضهم لنّفس النّوع مِنَ المحتوى بشكل متكرِّر، ما يُعزِّز من قناعاتهم الحاليّة بدلًا من تحدِّيها. على سبيل المثال، ذَكَر أحد الطّلّاب أنَّه لاحظ كيف أنَّ تيك توك يعرض له باستمرار مقاطع فيديو تتعلَّق بموسيقى معيَّنة أو نوع مُحدَّد من الأزياء؛ ما جعله يشعر بأنَّه محاط فقط بالأفكار التي تتماشى مع اهتماماته الحاليّة من دون التّعرُّض لأفكارٍ جديدة أو مغايرة. هذا الانطباع يدعم مفهوم غرف الصّدى الذي يشير إلى أنَّ الأفراد يتعرَّضون بشكلٍ متزايد للمعلومات التي تتَّفق مع معتقداتهم الموجودة مسبقًا؛ ما يُقلِّل من فرص النّقاشات الفكريّة المتنوّعة.

1- Cass Sunstein, Republic.com 2.0; Eli Pariser, The Filter Bubble: What the Internet is hiding from you.

4. رأس المال الاجتماعيّ[1]:

يناقش «نيكول إليسون» وزملاؤه كيف أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تُعزِّز مِنَ الاتّصال والمشاركة المجتمعيّة. يعكس ذلك أنَّ 80% مِنَ المستخدمِين يَرَوْنَ أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تساعد في الحفاظ على العلاقات القائمة. تعكس هذه النّتيجة الدّور المهمّ لتيك توك في تعزيز رأس المال الاجتماعيّ بين الطّلّاب، حيث يسهم في الحفاظ على العلاقات الاجتماعيّة القائمة وإنشاء علاقات جديدة.

ذَكَرَ العديد مِنَ الطّلّاب أنَّ تيك توك اتَّخذ دورًا كبيرًا في تعزيز علاقاتهم الاجتماعيّة. على سبيل المثال، قال أحد الطّلّاب: «تيك توك ساعدني في التّواصل مع أصدقاء لديهم اهتمامات مشتركة، وأحيانًا ألتقي بأشخاص مِن دول أخرى ومن مناطق لبنانيّة مختلفة ممَّن يشاركونَني الاهتمامات نفسها.» هذا يوضّح كيفيّة مساهمة تيك توك في تعزيز الرّوابط الاجتماعيّة من خلال تقديم منصّة مشتركة يمكن للأفراد من خلالها التّفاعل ومشاركة اهتماماتهم. بالإضافة إلى ذلك، أشار بعض الطّلّاب إلى أنَّهم استخدموا تيك توك لتنظيم لقاءات أو فعاليّات مشتركة مع أصدقائهم، ما يُعزِّز مِن رأس المال الاجتماعيّ من خلال زيادة التّفاعل والمشاركة المجتمعيّة.

5. تعزيز الاهتمامات والقناعات[2]:

تناولت نتائج الدّراسة النّوعيّة تأثير خوارزميّات تيك توك على تطوير اهتمامات وقناعات جديدة لدى الطّلّاب. وجد الطّلّاب أنَّ خوارزميّات تيك توك تساعدهم على اكتشاف محتوى جديد وتطوير اهتمامات جديدة، مثل الاهتمام بالموسيقى أو الأزياء. تدعم هذه النّتيجة مفهوم «النّميمة الخوارزميّة» التي قدَّمتها «صوفي بيشوب»، حيث تساهم الخوارزميّات في توجيه المستخدِمين نحو محتوى يُعزّز اهتماماتهم وقناعاتهم الجديدة، ما يُعمِّق تأثير المنصّة في تشكيل الهُويّات الشّخصيّة.

1- Nicole Ellison, Charles Steinfield & Cliff Lampe, The benefits of Facebook friends: Social capital and college students' use of online social network sites.

2- Sophie Bishop, Managing visibility on YouTube through algorithmic gossip.

الخاتمة

أحدثت وسائل التّواصل الاجتماعيّ تحوّلًا عميقًا في أنماط الاتّصال، ما أثَّرَ بعمق في حياة الشّباب، وخصوصًا الطّلّاب الجامعيّين في لبنان. تُظهر الدّراسة بوضوح أنَّ لتيك توك تأثيرًا كبيرًا على تشكيل الهُويّة، العلاقات الاجتماعيّة، والمشاركة السّياسيّة. هذا التّحليل يعكس الدّيناميّات المعقَّدة للمنصّة الرّقميّة الأكثر تأثيرًا في الوقت الحاليّ.

مِنَ التّحليل الكمّيّ، يمكن رؤية بوضوح أنَّ الطّلّاب يقضون في المتوسّط أربع ساعات يوميًّا في تصفّح وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ويُفضّلون بشكل كبير منصّات مثل تيك توك وإنستغرام. ومع ذلك، فإنَّ تيك توك يتّخذ دورًا فريدًا في توفير مساحة للإبداع والتّعبير عن الذّات. ويشير 70% مِنَ المستخدمِين إلى أنَّ وسائل التّواصل الاجتماعيّ تتيح فرصة أكبر للتّعبير عن الذّات، بينما يجد 50% أنَّ عليهم تعديل هُويّتهم الإلكترونيّة لتُناسِب التّوقّعات الاجتماعيّة، ما يُشير إلى الضّغط الذي يشعر به الكثيرون للتّوافق مع القوالب الاجتماعيّة.

لكنَّ الأثر الحقيقيّ يظهر في التّحليل النّوعيّ؛ حيث عبّر الطّلّاب عن تجاربهم الشّخصيّة مع تيك توك. أظهر الكثيرون أنَّ المنصّة ساعدتهم في استكشاف اهتمامات جديدة والتّعبير عن هُويّاتهم بطريقة أكثر وضوحًا، حتّى عندما واجهوا تحدّيات تتعلّق بالضّغط لمواكبة الاتّجاهات السائدة. عبّر أحد الطّلّاب عن شعوره بأنَّ تيك توك كان منصّة مثاليّة لتطوير مهاراته في التّمثيل، في حين أشارت طالبة أخرى إلى أنَّ المنصّة ساعدتها في اكتشاف شغفها بالتّصميم الدّاخليّ. وعلى الرّغم من ذلك، فإنَّ هذا التّعبير عن الهُويّة في البيئة الرّقميّة قد يكون متناقضًا؛ إذ يجد البعض أنفسهم يُقدّمون صورًا مُعدَّلة عن شخصيّاتهم الحقيقيّة، خصوصًا عندما يتعلّق الأمر بالضّغط لمواكبة «التّرندات».

أحد أبرز التّحدّيات التي تطرَّق إليها التّحليل النّوعيّ هو تأثير غرف الصّدى في تشكيل اهتمامات المستخدمِين وقناعاتهم. وقد أفاد الطّلّاب بأنَّ خوارزميّات تيك توك تؤثّر بشكل مباشر في نوع المحتوى الذي يتعرَّضون له؛ ما يُعزّز قناعاتهم في مجالات مختلفة. في السّياق السّياسيّ، أشار العديد من الطّلّاب إلى أنَّ تيك توك كان منصّة حيويّة لدعم القضايا الفلسطينيّة؛ إذ لم تُقيّد خوارزميّاته المحتوى المؤيّد مثلما حَدَثَ في المنصّات الأخرى. وأظهرت الدّراسة أنَّ الطّلّاب وجدوا أنفسهم

مضطرّين للبحث عن معلومات أكثر عمقًا خارج تيك توك، بسبب انعدام الثّقة في بعض المحتوى الموجود على المنصّة.

وفي ما يتعلَّق بالعلاقات الاجتماعيّة، وَجَدَ الطّلّاب أنَّ تيك توك يُعزِّز الرّوابط بينهم وبين الآخرين؛ إذ يُوفِّر لهم بيئة للتّواصل من خلال مقاطع الفيديو القصيرة، التّعليقات، والتّحدّيات المشتَرَكة. ومع ذلك، عبَّر البعض عن قلقهم من أنَّ التّفاعلات على المنصّة يمكن أن تؤدّي أحيانًا إلى سوء الفَهم والصّراعات.

كما أظهرت النّتائج النّوعيّة أيضًا التّأثير الكبير لـ«تيك توك» في الصّحّة النّفسيّة. ففي الوقت الذي يُوفِّر فيه تيك توك مساحة للتّرفيه والإلهام، يمكن أن يؤدّي الاستخدام المفرط إلى الشّعور بالنّقص والقلق، خصوصًا عند المقارنة بحياة الآخرين المثاليّة. تَبيَّن أنَّ عدد من الطّلّاب يَعِي أهمّيّة الاعتماد على استراتيجيّات، مثل وضع حدود زمنيّة واستخدام المنصّة بشكلٍ معتدل، لتقليل الآثار السّلبيّة.

في النّهاية، تكشف هذه الدّراسة عن الدّور المعقَّد الذي يتّخذه تيك توك في حياة الطّلّاب الجامعيّين في لبنان. فهو منصّة تتيح فرصًا للتّعبير الشّخصيّ، تكوين المجتمعات، والمشاركة السّياسيّة، لكنّه يضعهم أمام تحدّيات تتمثَّل في تشكيل غرف الصّدى، التّأثير في الصّحّة النّفسيّة، وجُودَة التّفاعلات الاجتماعيّة. يتطلَّب هذا الدّور اعتماد نهج متوازن في التّعامل مع المنصّة، وتنمية الوعي النّقديّ بين المستخدِمين لمواجهة التّحدّيات واستغلال الفرص المتاحة.

توصيات الدّراسة

بناءً على الفهم العميق الذي وفَّرته هذه الدّراسة، يمكن صوغ مجموعة مِنَ التّوصيات الموجَّهة إلى الباحثين، وصانِعي السّياسات، والمُربّين، ومُستخدمي وسائل التّواصل الاجتماعيّ. يُنصح الباحثون بالتّركيز على دراسة الخصائص الفريدة لمنصّات مثل تيك توك وفحص تأثيراتها النّفسيّة والاجتماعيّة بعمق، بالإضافة إلى استقصاء الأثر طويل الأمد لهذه المنصّات على الانخراط السّياسيّ والمجتمعيّ. يجب على صانِعِي السّياسات وضع قوانين وتوجيهات تحقّق الشّفافيّة في آليّات عمل خوارزميّات وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ودعم المبادرات الهادفة إلى تعزيز الوعي والمهارات الرّقميّة بين الجماهير. من جانبهم، يُطلَب مِنَ المُربّين دَمْج التّعليم الرّقميّ ضمن البرامج الدّراسيّة، وتشجيع الحوار حول تأثيرات وسائل

التّواصل الاجتماعيّ في الهُويّة الشّخصيّة والصّحّة النّفسيّة. أخيرًا، يُشجِّع مستخدمو هذه المنصّات على تنمية الوعي بتأثير غرف الصّدى وتبنّي استراتيجيّات النّظام الذّاتيّ للمساعدة في المحافظة على الصّحّة النّفسيّة والرّفاهيّة العامّة.

مع تقدّم عصر وسائل التّواصل الاجتماعيّ، يُتوقَّع أن تتغيَّر وتتطوَّر آثارها على المجتمع بشكلٍ مستمرّ. ومن الضّروريّ أن تشمل الدّراسات المستقبليّة البحث القائم على المقارنات بين الثّقافات والمناطق المختلفة؛ لكشف الطّبيعة العالميّة المتنوّعة لتأثيرات وسائل التّواصل الاجتماعيّ على الأجيال الشّابة. كذلك، يُعدّ البحث الطّوليّ الذي يرصد التّحوّلات في سلوكات مستخدمي وسائل التّواصل الاجتماعيّ وتأثيرها عبر الزّمن أمرًا حيويًّا، مع إيلاء اهتمام خاصّ للمنصّات الصّاعدة مثل تيك توك. أضف إلى ذلك، تكتسب الأبحاث التي تدرس بعمق الدّور الذي تتّخذه وسائل التّواصل الاجتماعيّ في تشكيل المواقف والأفعال السّياسيّة للشّباب أهمّيّة خاصّة، وخصوصًا في السّياقات التي تشهد تقلّبات سياسيّة أو تغيّرات جذريّة.

توفّر هذه الدّراسة مساهمة إضافيّة في ما يخصّ التّأثيرات النّفسيّة والاجتماعيّة لوسائل التّواصل الاجتماعيّ على الطّلّاب الجامعيّين في لبنان، مع التّركيز البارز على تيك توك، من خلال توضيح النّقاط المتقاطعة المهمّة بين التّكنولوجيّا وعلم النّفس والدّيناميكيّات الاجتماعيّة في الحَقَبة الرّقميّة.

تُظهر الدّراسة أهمّيّة فهم غرف الصّدى الرّقميّة وتحليل آثارها العميقة. وفي مسارنا نحو مواجهة التحدّيات واستغلال الفرص التي تُتيحها منصّات التّواصل الاجتماعيّ، يصبح من الضّروريّ ضمان استخدامها كأدوات تُسهم في تحقيق التّطوُّر الشّخصيّ والتّقدّم المجتمعيّ بشكلٍ إيجابيّ.

قائمة المصادر والمراجع

- Anderson, Monica & Jiang, Jingjing, Teens, Social Media, and Technology 2018, Pew Research Center, 2018. https://www.pewresearch.org/internet/2018/05/31/teens-social-media-technology-2018/
- Basch, Corey H., Hillyer, Grace C. & Jaime, Christie, COVID-19 on TikTok: Harnessing an emerging social media platform to convey important public health messages, International Journal of Adolescent Medicine and Health, 2020, vol. 34, no. 5, pp. 367 - 369.
- Bishop, Sophie, Managing visibility on YouTube through algorithmic gossip. New Media & Society, 2019, vol. 21, no. 11-12, pp. 2589 - 2606.
- Ellison, Nicole, Steinfield, Charles & Lampe, Cliff, The benefits of Facebook "friends:" Social capital and college students' use of online social network sites. Journal of Computer-Mediated Communication, 2007, vol. 12, no. 4, pp. 1143-1168.
- Jamieson, Kathleen H. & Cappella, Joseph N., Echo Chamber: Rush Limbaugh and the Conservative Media Establishment. Oxford University Press, 2008.
- Palfrey, John & Gasser, Urs, Born Digital: Understanding the First Generation of Digital Natives, Basic Books, 2008.
- Pariser, Eli, The Filter Bubble: What the Internet is hiding from you, Penguin UK, 2011.
- Suler, John, The online disinhibition effect. Cyberpsychology & behavior, 2004, vol. 7, no. 3, pp. 321 - 326.
- Sunstein, Cass, R., Republic.com 2.0., Princeton University Press, USA, 2009.
- Valkenburg, Patti M., Peter, Jochen & Schouten, Alexander P., Friend networking sites and their relationship to adolescents' well-being and social self-esteem, CyberPsychology & Behavior, 2006, vol. 9, no. 5, pp. 584-590.

- Walther, Joseph B, Computer-Mediated Communication: Impersonal, Interpersonal and Hyperpersonal Interaction, Communication Research, Sage Publishing, USA, 1996, vol. 23, no. 1, pp. 3-43.
- Zhao, Shanyang, Grasmuck, Sherri & Martin, Jason, Identity construction on Facebook: Digital empowerment in anchored relationships, Computers in Human Behavior, 2008, vol. 24, no. 5, pp. 1816 - 1836.